

فيما يتصل بالتنفيذ والممارسة إلى سلطة تابعة من ذات المسلم هي ضميره و
خوفه و رجاؤه له .

وهذا الضمير عندما يستيقظ و يراقب الله يضمن لصاحبه أن
يكون دائما على الطريق وعلى الصراط السوي . فإن ألم المسلم بمخالفة
لهذا السلوك حمله ضميره أو رقيبته الذاتي على أن يعترف بذنبيه و يطلب
تطهير نفسه من هذا الذنب . وليس ذلك مبالغة في الحديث عن يقظة
ضمير المسلم حين يتزبى على ممارسة السلوك الإسلامي ، وإنما يحدثنا
التاريخ بنماذج من هذه اليقظة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . كما
في قصة معاذ والغامدية . بل لقد حدثت يقظة الضمير هذه في عصور
أخرى بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم و ذلك عن السلوك الفردي
الإسلامي .

أما السلوك الاجتماعي الإسلامي فإن الإسلام لم يدع من صفة
يعود التمسك بها على المجتمع بفائدة إلا ودعا إليها . وما ترك الإسلام من
صفة أو سلوك يعود التمسك بها على المجتمع بضرر إلا ونهى عنها .
فالإسلام لم يكتف بالنسبة لأنماط السلوك الاجتماعية - للتأكد من تنفيذها
والالتزام بها - بضمير المسلم وحده . وإنما أقام على ذلك رقباء يأمرون
بالمعروف و ينهون عن المنكر .

و ندعو الله عزوجل أن تكون شخصيتنا شخصية إسلامية التي
تستهدف في حياتها دعوة الناس إلى الحق والسعادة .

رئيسة التحرير

من وجوه البيان في القرآن الكريم

د . حميد الله *

وجوه البيان في القرآن أعلى ما عرفه الإنسان في لغة و أرقى ما
نظر فيه من أساليب . و مفردات ، و تراكيب . ويكون هذا البيان في
تصويره للحقيقة ، وفي حديثه عن الواقع والحقائق ولذلك فالبيان صنو
الحقيقة ، وأساليب الحقيقة بيان و تأثير .

ومن هذا ما جاء في معاني المفردات ، وفي تفسير العبارات ،
والحكاية عن أقوام غابرين ، وعظات لمن يعتبر ، و أمثال للقريب والبعيد ،
وغير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى .

فالدراسات اللغوية والنحوية التي عرضت للقرآن الكريم في تفسير
مفرداته ، ومشكله وغريبه ، وتأويل ذلك من الوجهة اللغوية أو النحوية ،
أو التوجيه إلى طرائق العرب في ذلك . قد خدمت القرآن في بيانه من
الناحية الحقيقية ، في المعاني والتراكيب و التفسير .

ومن ذلك كتاب "بجاء القرآن" (١) لأبي عبيدة معمر بن المثنى
(٢٠٦هـ) الذي أطلق لفظ الجواز ، وأراد به ومعناه الواسع الذي عرفه من
الوضع اللغوي ، وهو المعبر والمر والطريق . فكأنه معنى "بجاء القرآن"
طريق الوصول إلى فهم المعاني القرآنية ، يستوي عنده أن يكون طريق
ذلك تفسير الكلمات اللغوية التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشارحة ، أو

* الأستاذ المساعد ، قسم العلوم الإسلامية ، جامعة بنجاب ، لاهور .

بالمترادف المفسر من المفردات وما كان عن طريق الحقيقة بمعناها . أو طريق المجاز بمعناه عند البلاغيين (٢).

ومنه كذلك ، ما كتبه ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ) في تأويل مشكل القرآن وفي غريبه (٣) : فإن رجلا مثل ابن قتيبة لا يتهج نهج المفسرين الذين يتابعون بين آي القرآن ، و يشرحون ما يعرض فيها من معنى لفظ ، أو بيان عظة ، أو سرد خبر ، وإنما يعرض ابن قتيبة لما خفى عن العامة الذين لا يعرفون إلا اللفظ ، وظاهر دلالة على معناه . ولذلك فإن كلام المخلوقين تتميز فيه البلاغة من العي ، والفصاحة من اللكن ، وأما كلام الخالق تبارك وتعالى فعقول البلغاء تعجز عن تدبر بلاغته ، و تحار في أطراد فصاحته ، فماذا يورد المورد منه ؟ وبماذا يترجم منه؟ (٤).

وقد تحدى الله سبحانه به خلقه أجمعين ، فقال - وهو أصدق القائلين - في سورة يونس ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العلمين ، أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٥).

ومثل ابن قتيبة يضع نفسه هذا الوضع ، ويعرضها للمعاندین والطاعين ، الذين يدلون بما وسعتهم الحجة في الأداء به ، لا بد أن يكون على حظ من المعرفة بالعرب ولغاتها وفنون العبارة عن المعاني بها . وقد توافر لابن قتيبة من ذلك حظ عظيم ، وما من آية فيها شبهة ، أو عبارة فيها خفاء ، إلا اوردها نظائر وأمثلة من مآثور القول عند البلغاء والفصحاء المشهود لهم بالتمكن من صناعتهم وطول الباع في المنظوم والمنثور ، وبرهن على أن هذا الفن ليس خارجا عن مألوف الفن الأدبي ، وليس غريبا على المرزبين من فحول البيان (٦).

هذه الدراسات التي اهتمت بالقرآن الكريم ، من وجهة نظر اللغويين والنحاة (٧) كانت مقدمات لباب أوسع في البيان العربي ، ولطرائق أكثر في الإستخدام والشرح والتوضيح .

وإذا كان "البيان" علما من علوم العربية ، فهو كذلك معدود من جملة العلوم الإسلامية ، وهي العلوم التي نشأت بتأثير هذا الدين الجديد ، وكان له دخل واضح في نشأتها وتطورها و تنوع مباحثها ، وكان البيان من أهم ما اعتمد عليه في خدمة العقيدة الإسلامية ، لأنه يعمل على إبراز ما في القرآن الكريم وهو كتاب العقيدة الإسلامية ، وآيتها المعجزة من وجوه الجمال التي يمتاز بها ويبين سر الإعجاز الذي بان به كلام الله و امتاز به من كلام البشر ، سواء من ناحية مقاصده ومعانيه ، أو من ناحية أساليب تأديتها والعبارة عنها (٨).

ولهذا فإن أحق العلوم بالتعلم ، وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة و معرفة الفصاحة ، الذي يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشاد ، والمدلول به على صدق الرسالة وضح النبوة التي رفعت أعلام الحق و أقامت منار الدين ، وأزالت شبه الكفر ببراهينها ، وهتكت حجة الشك بيقينها (٩).

ولذلك فقد قرر العلماء أن علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرا ، وربطوا هذا الفهم ، بأن علم البلاغة تعرف به دقائق العربية وأسرارها ، وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها (١٠).

وبهذه الفكرة الرئيسة فهم المحدثون البحث البلاغي عند العرب ، إذ البلاغة من العلوم العربية التي تنضج ولم تحترق - كما يقول القدماء - فباب الإجهاد فيها قائم ، وسبيل الرجوع إليها متصل ما دامت العربية خالدة ، وما دام أسلوبها زاد المنشئين وقد نشأت لتصون التراث وتضع المعالم على الطريق ، وكانت قضية الإعجاز أهم ما شغل به الدارسون .

وكانت القدرة البيانية أنبل ما سعى إليه الشعراء والكتاب حين ازدهر الأدب وبنى العرب حضارتهم التي عمت الآفاق (١١).

ولذا فإن النتيجة حول ما تقدم في أن البلاغة أو فن القول ليست من الموضوعات التي ينبغي أن تدوب في دراسات أخرى. لأنها عمدة الأديب البليغ، ومفتاح فهم أعجاز كتاب الله وإدراكه، ولا يصح إبعادها عن القرآن الكريم، أو الغرض الديني، كما تفعل أقوام أخرى ثارت على الدين وتركت كتب السماء وراءها ظهريا (١٢).

وفي إطار هذا الفهم دارت دراسات المحدثين من المشتغلين بالبلاغة العربية وذلك لأن البلاغة العربية من علوم اللغة العربية، وقد كانت السبيل المفضي إلى فهم كتاب الله وكلام العرب، ولذلك أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة ووضعوا فيه دراسات كثيرة اتسمت بالأصالة والمنهج السديد (١٣).

شاع بعض كتب الأمالي، المعاني الحقيقية، وطرائق العرب في التفسير اللغوي لمفردات القرآن الكريم (١٤). ومن ذلك ما أورده أبو اسماعيل بن القاسم البغدادي، من قول الله تعالى: في قراءة أبي عمرو بن العلاء: "ما ننسخ من آية أو ننسها" والمطلب في الكلام من هذه الآية على مادة "نسا" وذلك على معنى تأخرها (١٥).

يكفي هذا النمط من اللغة العربية، والبيان العربي، في موطن الاستخدام والتوضيح، ومناحي الاستخدام في العربية، مرتبطة بهواتف النفس، وحاجات الناس، ونوازع الأفراد، وميول الجماعة، وكل هذا يناط بقيمة التواصل بين المنشئ والملقى.

ويفسر ذلك، ما قاله معاوية بن أبي سفيان للناس، وهو كيف ابن زياد فيكم؟ قالوا ظريف على أنه يلحن، قال فذاك أظرف له، ذهب معاوية إلى اللحن الذي هو الفطنة وذهبوا هم إلى اللحن الذي هو الخطأ (١٦).

وتتنوع طرائق البيان ووجوهه، حسب الزمان والمكان، والبيئة، والموروث الثقافي والمستوى الحضاري، ولذا كان التوضيح في حديث الرسول الكريم، في القرن الرابع الهجري، بما يفهمه القوم - آنذاك - ولذلك أورد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ) قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الشديد من غلب نفسه" يقول:

من ملك نفسه عند شهوته، وعند غضبه، فمنعها فهو الشديد وهذا شبيه بحديثه عليه السلام، أنه مر بقوم يربعون حجرا، أو يجذبون حجرا، فسأل عن ذلك، فقيل: لينظروا أيهم أقوى، أو كما قيل، فقال: ألا أتحركم بأشد من هؤلاء؟ من ملك نفسه عند الغضب، أو كما قال صلى الله عليه وسلم (١٧).

وما تقدمه من طرائق البيان، هو وجه من وجوه الوصول إلى فهم الإعجاز القرآني، ووسيلة من وسائل العلم التي بها يتحقق الكشف عن جماليات القرآن الكريم، فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم.

لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم مفقود، فانكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب المفقود (١٨).

ولهذا فإن معاني البشر، مرقاة للوصول إلى فهم معاني القرآن، ومن وصف الله، بمعنى عن معاني البشر، فقد كفر (١٩).

ومن أراد أن يعرض جوامع الكلم ويتبسه على فضل الإعجاز والإختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز، فليتدبر القرآن، وليتأمل علوه على سائر الكلام فمن ذلك قوله عز ذكره: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" استقاموا، كلمة واحدة تفصح عن الطاعات

كلها في الإثمار والإنزجار . ذلك لو أن إنسانا أطاع الله سبحانه مائة سنة ثم سرق حبة واحدة، لخرج بسرقته عن حد الإستقامة (٢٠).
ولذلك فقد جاء تكرر الأنبياء في القرآن الكريم . لأن الله تبارك و تعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث و عشرين سنة . بفرض بعد فرض . تيسيرا منه على العباد . و تدرج لهم إلى كمال دينه . ووعظ بعد وعظ . تنبيها لهم من سنة الغفلة . و شجدا لقلوبهم بتحدد الموعدة . و ناسخ بعد منسوخ: استبعادهم و اختيار البصائرهم يقول الله تعالى: " وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا" الفرقان(٢١).

الخطاب للنبي . صلى الله عليه وسلم و المزارد بالثبوت هو المؤمنون . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحول أصحابه بالموعظة مخافة السامة عليهم . أي يتعهدهم بها عند الغفلة و دنوز القلوب(٢٢).
و تنوع وجوه البيان في القرآن الكريم . لأنها لا تنفسي عجائبه . و مفيد لا تنقطع فوائده . و نسخ به سالف الكتب و جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه . و ذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوتيت جوامع الكلم" (٢٣).

ومن هنا كانت الآيات القرآنية من خلال التفسير البياني تعتمد التوجيه النحوي . أحيانا . أو طريقة الكشف عن المعنى المفرد . لما ذلك من إيجاز . و فطنة . و من ذلك ما جاء في سورة إبراهيم . من قوله تعالى: " وذكروهم بأيام الله" بأيام النعم . و قوله تعالى: " واستفتحوا" أي استنصروا (٢٤).

ومنه أيضا : قوله تعالى: " فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا" أي: عملا يرجع إليه (٢٥) و قوله تعالى " في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه" أي الذراع: العضو المعروف، ويقال ذراع من الثوب والأرض (٢٦) وقوله تعالى " أفنضرب عنكم الذكر صفحا" معنى " أفنضرب أفنصفح ومنهم من يقدر له فعلا من لفظه . فكأنه قال: أفنصفح عنكم صفحا(٢٧).

وقوله تعالى " أيمسكه على هون" قالهون: والهوان . الرفق (٢٨) ومن هذا دلالة قوله تعالى " ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار" . يدل على أن الظالم لا تلحقه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يتخلص من النار إذا مات على ظلمه و اصراره (٢٩) و قوله تعالى " والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم (٣٠) وقوله تعالى " فصرهن" أي ضمنهن وقيل املهن في الصور . جمع صورة (٣١).

و مع هذا فنرى عن وجوه البيان ما يزيد في التوضيح على ما تقدم ومنه ما يسمى بالإكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكفي بأحدهما عن الآخر لنكتة . و يختص غالبا بالارتباط العطفي كقوله تعالى " سراويل تقيكم الحر" أي: والبرد وخصص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب و بلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم عندهم . لأنه أشد من البرد، وقيل لأن البرد تقدم ذكر الإمتنان بوقايته صريحا في قوله تعالى: " ومن أصوافها و أوبارها و أشعارها أناثا" وفي قوله تعالى " وجعل لكم من الجبال أكنانا" (٣٢).

و بالله التوفيق - صلى الله على النبي وآله وسلم

الهوامش

- ١- تحقيق و تعليق. محمد فؤاد سزكين. ط ٢٠٢٠. ١٩٧٠ م. مكتبة الخياجي و دار الفكر. القاهرة.
- ٢- البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها و مصادرها الكبرى. ص ٢٩. بدوي طبان. ص ٨. مكتبة الإنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٦ م.
- ٣- البيان العربي: ص ٣١
- ٤- لباب الآداب. أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) ص ٣٢٨. دار الكتب العلمية بيروت.
- ٥- يونس. ٣٧-٣٨
- ٦- البيان العربي: ٣٤-٣٥
- ٧- أنظر تفصيل هذا الوجه في كتاب: أثر النحاة في البحث البلاغي. د. عبدالقادر حسين دار نهضة مصر. القاهرة. ١٩٧٠ م.
- ٨- البيان العربي: ص ٢٠
- ٩- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥هـ) ص ٧. تحقيق علي محمد الجناوي و أبو الفضل إبراهيم. عيسى البابي. القاهرة.
- ١٠- التلخيص. محمد عبدالرحمن القزويني (٧٢٩هـ) بيروت. ١٩٠٤ م.
- ١١- البحث البلاغي عند العرب. د. أحمد مطلوب. ص ٢. بغداد. ١٩٨٢ م.
- ١٢- السابق. ٨٣-٨٤
- ١٣- البلاغة والتطبيق. د. أحمد مطلوب. ص ٣. وزارة التعليم العالي. بغداد. ١٩٨٣ م.
- ١٤- تأويل مشكل القرآن. عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٨٦هـ) بيروت.
- ١٩٨١ م و تفسير غريب القرآن. عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٨٦هـ).

- بيروت. ١٩٧٨ م. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ). ١٩٧٧ م. والبيان في إعراب القرآن. عبد الله بن الحسين العكبري (٦١٦هـ) القاهرة. ١٩٧٦ م. مشكل إعراب القرآن. مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) غربي القرآن و الحديث. أحمد بن محمد المهروي (٤٠١هـ) القاهرة. ١٩٧٠ م. متشابهة القرآن. القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني (٤١٥هـ) كتاب أعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم. لابن خالويه. إعراب القرآن. لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد (٢٨٠هـ).
- ١٥- كتاب الأمالي. إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ) دار الكتاب العربي. بيروت.
- ١٦- السابق.
- ١٧- المختنى. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ) ص ٢٦. دمشق. ١٩٧٩ م.
- ١٨- العقيدة الطحاوية محمد بن علاء الدين دمشقي (٧٩٢هـ) ص ٣٨. شرح و تعليق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. دمشق. ١٩٧٨ م.
- ١٩- السابق. ص ٣٤
- ٢٠- نفسه. ص ٢٥
- ٢١- الإعجاز. أبو منصور الثعالبي. ص ١٠. بيروت.
- ٢٢- تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. ص ٢٣١
- ٢٣- السابق. ص ٤٣
- ٢٤- تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة. ص ٢٣١
- ٢٥- كتاب الغريبين. المهروي. ص ١٠٦
- ٢٦- المفردات في غريب القرآن. الراغب الإصفهاني. ص ٢٥٨
- ٢٧- البيان في إعراب القرآن. ابن الأنباري. ٣٥٢:٢

طرق التدريس الحديثة

أ. د. خليل الرحمن

الطريقة

هي الوسيلة التي تتبعها لتفهم التلاميذ أي درس من الدروس في أية مادة من المواد وهي الخطة التي نضعها لأنفسنا قبل أن ندخل حجرة الدراسة و نعمل لتنفيذها في تلك الحجرة بعد دخولها ولطريقة التدريس أثر كبير في التعليم وعليها يتوقف نجاح المدرس أو أخفاقه. و عرفها الأستاذ محمد عبدالرحيم غنيصه بأنها: (الوسائل العملية التي بها تنفذ أهداف التعليم و غاياته). و عرفها المرسي الأمريكي (كلبا ترك) بمعنيين: معنى ضيقاً المقصود به توصيل المعلومات ... و معنى واسعاً هو اكتساب المعلومات مضاف إليه وجهات نظر و عادات في التفكير وغيره. و عرفها الاستاذان: على الجميلاطي و أبو الفتوح التوانسي بأنها (الأساليب التي يتبعها المدرس في توصيل المعلومات إلى أذهان التلاميذ).

و أهم هذه المبادئ التي يجب مراعاتها هي ما يلي:
 ١- مراعاة ميول التلاميذ . يجب يعطون من المواد ما يلائمهم و يتفق مع غرائزهم و رغباتهم و بيئتهم و استعدادهم كي

أستاذ اللغة العربية • الجامعة الإسلامية العالمية • إسلام آباد • باكستان

- ٢٨- اعراب القرآن ، النحاس ، ٥ نصوص
 ٢٩- أعراب ثلاثين سورة من القرآن ، ابن خالوية ، ص ٨٠
 ٣٠- متشابه القرآن ، القاضي عبدالجبار ، ص ١٧٧
 ٣١- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، ص ١٦٠
 ٣٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطي (١٩١١هـ) / ١ / ٣٢٠ ، القاهرة ١٩٦٩ م.
